

”وما زال بخيب محفوظ يعلمنا“ (1) متك ينتهك هذا العذاب؟

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD181211.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

[mokattampsy2002@hotmail.com](mailto:mokattampsy2002@hotmail.com) - [rakhawy@rakhawy.org](mailto:rakhawy@rakhawy.org)

نشرة "الإنسان والتطور" 2011/12/18

السنة الخامسة - العدد: 1570



سوف أظل شاكرًا للمجلس الأعلى للثقافة، وبالذات للأستاذ الدكتور جابر عصفور، والأستاذ الدكتور حسين حمودة وكل أعضاء لجنة المحافظة على تراث نجيب محفوظ على إصدار دورية نقد أعماله، فالاحتفال الحقيقي بمن أعطي كل هذا هكذا بكل هذا الصدق والإبداع هو مواصلة النهل من معينه نقداً، ونقداً للنقد بلا انقطاع، فيظل بيننا أبداً، يعلمنا متجدداً

\*\*\*\*

### الحلم : 3 (فترة النقاهة)

هذا سطح سفينة يتوسطه عامود مقيد به رجل يلتف حوله حبل من أعلى صدره حتى أسفل ساقيه وهو يحرك رأسه بعنف يمناً ويسرة ويهتف من أعماقه الجريحة متى ينتهي هذا العذاب؟  
وكان ثلاثتنا ينظرون إليه بإشفاق ويتبادلون النظر في ذهول وتساءل صوت:  
من فعل بك ذلك؟  
فأجاب الرجل المعذب ورأسه لا يكف عن الحركة  
أنا الفاعل  
لماذا؟  
هو العقاب الذي أستحقه  
عن أي ذنب؟  
فصاح بغضب:  
الجهل  
فقلت له:  
عهدنا بك ذو حلم وخبرة  
جهلنا أن الغضب استعداد في كل فرد  
وارتفع صوته وهو يقول:  
وجهلنا أن أي إنسان لا يمكن أن يخلو من كرامة مهما يهَّن شأنه  
وغلبنا الحزن والصمت.

النقد:

نبدأ من الآخر:

ها هو شيخنا يعلمنا أن "الغضب استعداد في كل فرد"، ثم أن: أي إنسان لا يمكن أن يخلو من كرامة مهما يهَّن شأنه". يبدو أن هذه البديهيات التي نتصور أنه لا جدال حولها، خاصة ونحن نردها ليل نهار، ونتصور أننا بمجرد أن ننطقها قد حققناها، يبدو أن حلم محفوظ هنا ينبهنا إلى احتمال أننا في حقيقة الأمر - ننساها - حتى لو ظللنا نردها دون أن نختر خداعنا لأنفسنا لممارستها بتسطيح أو تزييف أو كذب.

شغلتنى كثيراً من زمن باكراً طبيعة هذا الغضب الإيجابي، حين رحلت أدافع عن الوجه البقائي لغريزة العدوان (: مجلة الإنسان والتطور 1980) التي عادة ما ننكر دورها الخلاق خوفاً من حضورها التحطيمي السلبي الأشهر. حين ننكر هذا الحق (حق الغضب المرتبط بغريزة العدوان) جهلاً أو تجاهلاً، فنحن نخترل طبيعتنا البشرية فنستحق العقاب، هذا هو بعض ما بلغني مما يمثله هذا الرجل المقيد نفسه على عامود السفينة؟

**الجهل أيضا خطيئة تختزل الإنسان، والجهل هنا هو تجاهل فإنكار : ليس فقط جهلنا بحقنا في الغضب ، لكنه أيضا حين نخص الكرامة (التي أكرم الله بها كل خلقه)، بفتة دون أخرى، وسواء فهمنا كيف أن الكرامة نابعة أساسا من أن الله "كرم الإنسان"، من حيث هو إنسان، أو فهمناها بذاتها لذاتها بمعنى العزة والحرية والإباء، فإن جهلنا بها أو تخصيصها لفئة من البشر دون أخرى يترتب عليه ذنب آخر يستحق نفس العقاب، أو مضاعفته، وهو ما قام به هذا الحلم: كصدمة إفاقة.**

الذي يجهل (يتجاهل/يُنكر) حق الغضب (مع أنه استعداد في كل فرد)، كما يجهل (يتجاهل/ينكر) أن أي إنسان لا يمكن أن يخلو من كرامة، لابد أن يدفع الثمن؟ وهو نفسه الذي يصدر الحكم على نفسه "كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا".

لكن: كيف يكون الجهل جريمة تستحق العقاب؟ أي ذنب اقترفه هذا الجاهل؟ مسرح الحلم هو سطح سفينة، هل هي مقابل سفينة نوح؟ "صدمة الإفاقة" التي يحملها لنا الحلم، ونحن نركب فلك الحياة المترامية الآن، هي نذير محفوظ لنا، لعله ينفذنا من الاغتراب التخديري الحالى المُعولم الذى يدفع فاتورته الأقر والأجمل والأجبن.

بالصدفة البحتة بعد أن كتبت المسودة الأولى لنقد هذا الحلم وصلنى من زائرة (قارئة) كريمة تعليقا على معلومة جعلتني أعيد النظر في نقد الحلم، فيصبح أكثر وضوحا، تقول هذه المعلومة "... طلب "هوشى مئة" قائد الثورة الفيتنامية من رفاقة أن يربطوه بسارى مركب، ولا يفكوه مهما تأثروا بصراخه، حتى يتسنى له الكف عن تعاطي الأفيون". هزنتى هذه المعلومة وأنا أربطها بحسب نجيب محفوظ الإبداعى برغم عكس الرسالة، ذلك أن "هوشى مئة" يربط نفسه "ليفيق من المخدر"، فى حين أن رجلنا هنا يربط نفسه "عقابا" على أنه استسلم لتخدير الاختزال والاغتراب وتشويه الفطرة.

ما وصلنى من تشكيل هذا الحلم أن نجيب محفوظ يبلغنا بهذا الحلم أنه: مهما بدا العقل الفوقى حليما وحكيما، ومهما بدا يقظا متلفتا، فهو قاصر عن الإحاطة بكلية الوجود، لأنه أغلق بقية قنوات المعرفة بما فى ذلك المعرفة عبر "الحركة" و"الجسد".

العلم المعرفى الحديث (خاصة فى العشرين سنة الاخيرة)، يحاول تصحيح هذا الذى لحق بالوجود البشرى اختزالا واغترابا حتى التخدير، وذلك حين يذكرنا أن العواطف لها برامجها المعرفية، وأن الجسد (بما هو جسد) يشارك فى التفكير والإبداع كما يعلمنا متصوفونا ومتصوفوا العالم – المبدعون بالضرورة – أهمية بقية قنوات المعرفة المشاركة مع (وليست البديلة عن) العقل المنطق الأحداث.

وهكذا يحدد هذا الحلم بصورة تشكيلية شديدة الإيجاز والتكثيف هذه القضية على الوجه التالى:

- (1) إننا قيدينا وجودنا كله، حتى الشلل حين حلّ هذا الرأس المتلثت: العقل الفوقى، محل حركتنا الاستكشافية المعرفية الكلية (الإيمانية).
- (2) إنه سواء كان التلثت إلى اليمين (أى يمين) أو إلى اليسار (أى يسار)، فالنتيجة واحدة والضياح واحد، والكرامة مهزوزة، والعقاب حتمى.
- (3) إن هذا الاغتراب التخديري المُعقلن إنما يجرحنا فى غور وجودنا إذ يختزلنا حتى تستغيث أعماقنا "متى ينتهى هذا العذاب".

لكن مَنْ هؤلاء الثلاثة الذين ينظرون إليه باشفاق ويتبادلون النظر فى ذهول؟

خطرت ببالي عدة احتمالات لرقم "3" هنا، رفضت إثباتها جميعا خوفا من التعسف. أما هذا الصوت: الذى يتساءل: "من فعل بك ذلك؟ فقد يكون صوت أحد الثلاثة، كما يمكن أن يكون صوت الزمن، أو صوت الشخص المقيد على السارى (وهو على نفسه بصيرة).

ننبه أيضا إلى أن العقاب هنا هو أن يعيش الإنسان ناقصا عاجزا مقيدا معاقا برغم حدة انتباهه "فى المحل". ثم أن الرجل لم يكن مشدودا إلى صليب يتطهر عليه بالألم بل كان مقيدا بحبال عقله الأعلى المغترب. هذا العقاب تجسد لى فى الحرمان من بقيه مناهل المعرفة من ناحية، سواء كانت المعرفة بالجسد أم بالحدس أم بالحركة أم بالوجدان، كما تجسد من ناحية أخرى فى العزلة والعجز والذبذبة البندولية بين اليمين واليسار.

### النهاية:

أرجو أن ينتبه قارئ الحلم لنهايته بدقة مناسبة، ذلك أن الحزن والصمت لم يكونا فقط وصفا لمشاعر المحكوم عليه بالقيود والجمود، حتى لو شعر بالذنب، وعاقب نفسه هكذا، واعترف بجريمة الجهل. نهاية الحلم كانت حزن وصمت الجماعة: "الثلاثة أو الثلاثة زائد الصوت أو الثلاثة زائد الصوت زائد الرجل المقيد، أو نحن جميعا بنى البشر"، وغلبنا الصمت والحزن!!

حزننا هو لهذا الانقسام الذى بتر الوجود البشرى إلا من عقله الأعلى المتمنطق حتى لو اتصف بالحلم والخبرة. ربما يكون هذا هو الحزن الدافع الأقوى لتحمل صعوبة وغموض وضرورة "العلاقة بالآخر" فى أن.

أو لعله الحزن الذى هو التفاعل المناسب المصاحب لصدمة تعرية الحقيقة.

وصلنى الصمت بعد هذه الرؤية على أنه ذلك الصمت المحرك المفعم بوعود اليقين وضرورة مواصلة السعى الممتد كدحا إليه.

نحن – كبشر – ليس عندنا ذوات ثابتة تحدد ماهيتنا بشكل ثابت، لكننا نخلقنا تخليقا طول الوقت. نرى ملامح بعض ذلك فى هذا النص المحفوظى المكثف بما يمثله كل من: الصوت المتململ، والبصيرة المستعادة، وأخيرا ثنائى:

"الصبر والصمت". بلغنى الصمت هنا باعتباره لغة أخرى أعمق وأهم إذ هي تتصل بالزمن القادر على احتواء الحركة، دون أن تُجهض بالإفراغ في رموز متاحة أو مفاهيم مغلقة (الكلام والتفكير المعقلن)، كما أن الحزن في هذا السياق (وهو غير الاكتئاب/الإنهباط) إذا ما امتزج بالغضب فهو الحزن الحيوى الذى يعلن الوعى اليقظ المغامر بعمل علاقة حقيقية مع "الأخر" برغم صعوبتها الموضوعية، الأمر الذى يحافظ على الإنسان إنسانا، ومن ثم الكرامة !!

الحلم صورة حية. هو تشكيل آنى، وهو فى نفس الوقت حركة مستثارة مثيرة لأكثر من توجه معا، ثم هو تجاورٌ وتجاوز للزمن فى آن. وهو ليس رموزا جاهزة، ولا مجرد تحقيق رغبة!

شكرا يا شيخنا

وكل مائة عام وأنت بخير، تباركنا وتحافظ على دفعنا إلى ما كنت ترجو لنا، ونحن من ناحيتنا: نعاهدك على أن نحافظ على ما تركت لنا، وما تركت فينا، نقدا وتعلما ومراجعة، ولا يحزنك أمرنا الآن فأنت تعرف عراقه عناد المصرى وصبره وقوته جميعا.

"مراسلات الشبكة" على الفاييس بوك

<http://www.facebook.com/Arabpsynet>

\*\*\* \*\*

## وحدة الدراسة والبحث في الإنسان والتطور

"وحدة بحث في قراءة النص البشري من منظور تطوري انطلاقا من فكر عيسى الرخاوي"

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/UnitStudy&ResearchHumEvol.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/UnitStudy&ResearchHumEvol.pdf)

### نشرة الإنسان والتطور

الإصدار الفلج حسب المهور

خريف 2011

المهور الثالث - الجزء الثاني

### ملف العلاج النفسي

العدد 2

مع ملحق حدود بريد الجمعة

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn11Part2.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn11Part2.pdf)

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn11Part2.exe](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn11Part2.exe)

دروفيسور عيسى الرخاوي

[mokattampsyh2002@hotmail.com](mailto:mokattampsyh2002@hotmail.com) - [rakhawy@rakhawy.org](mailto:rakhawy@rakhawy.org)

\*\*\* \*\*

للتسجيل في وحدة الدراسة و البحث في الإنسان و التطور

ارسل طلب الك بريد الشبكة

[arabpsynet@gmail.com](mailto:arabpsynet@gmail.com)

مصحوبا بالسيرة العلمية من خلال النموذج التالي

<http://www.arabpsynet.com/cv/cv.htm>

\*\*\* \*\*

كامل نشرات " الإنسان و التطور " (اليومية) على الويب

<http://www.rakhawy.org>

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/IndexRakAr.htm](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/IndexRakAr.htm)

Arabpsynet

[www.arabpsynet.com](http://www.arabpsynet.com)

Subscribe To APN

<http://www.arabpsynet.com/Subs.asp>

Subscribe to APN Protected Links

SEND YOUR Scientific CV

<http://www.arabpsynet.com/cv/cv.htm>